مكانة المرأة في القرآن الكريم والحضارة الإسلامية

محمد خليل حسن
طالب دكتوراه ، كلية التاريخ، جامعة الأديان والمذاهب، قم، إيران
mohammediraq11@gmail.com
الدكتور محمد زارع بوشهري
أستاذ ، كلية التاريخ، جامعة الأديان والمذاهب، قم، إيران
m.zare@urd.ac.ir
الدكتور أحمد فلاح زاده
أستاذ مساعد ، كلية التاريخ، جامعة الأديان والمذاهب، قم، إيران
a.fallahzadeh@urd.ac.ir

The status of women in the Holy Quran and Islamic civilization

Mohammad Khalil Hassan
PhD Candidate, Faculty of History, University of Religions and Denominations, Qom, Iran
Dr. Mohammad Zare Bushehri
Professor, Faculty of History, University of Religions and Denominations, Qom, Iran
Dr. Ahmad Fallahzadeh
Assistant Professor, Faculty of History, University of Religions and Denominations, Qom, Iran

الملخص:-

تختلف مكانة المرأة عبر العصور والحضارات بشكل ملحوظ، بل وأحيانًا تتناقض. فقد تراوحت النظرة إليها من اعتبارها كائنًا دونيًا يشبه الأشياء أكثر من الأحياء، إلى اعتبارها شيطانًا يرمز للشر والخطيئة، ثم إلى اعتبارها سيدة وقائدة تتحكم في مصير المجتمع. كما كانت تُعتبر عاملة مجتهدة تتحمل المشاق، من الحمل والولادة إلى تربية الأطفال وإدارة شؤون المنزل ورعاية الزوج. في أوقات أخرى، كانت تُصوّر كرمز للجمال، تُستغل من قبل الجهات غير الأخلاقية للإغواء والترويج. من خلال هذه المراحل المختلفة، يمكن القول إن تطور دور المرأة في التاريخ قد أسهم في تشكيل النظرة الحديثة لها، مما يعكس مواقف متنوعة تتعلق بمكانتها ودورها في المجتمع، أما الإسلام فقد رفع الإسلام من مكانة المرأة بصورة عامة وكانت نظرته إليها إنسانية وإن حقوق المرأة و المساواة التي تمتعت بها المرأة المسلمة لم تتمتع بها امرأة قط، فالمرأة في التصور الإسلامي شقيقة الرجل ومساوية له من حيث ابتداء الخلق، حيث يقر القرآن الكريم أن المرأة خلقت من نفس الرجل.

الكلمات المفتاحية: المرأة، القرآن الكريم، الحضارة.

Abstract:-

The status of women has varied significantly across different eras and civilizations, and at times, it has been contradictory. The perception of women has ranged from considering them as inferior beings, more like objects than living creatures, to viewing them as demons symbolizing evil and sin, and then to seeing them as leaders and rulers who control the fate of society. Women were also seen as diligent workers, enduring hardships, from pregnancy and childbirth to raising children, managing household affairs, and caring for their husbands. At other times, they were depicted as symbols of beauty, exploited by unethical institutions for seduction and promotion. Through these different phases, it can be said that the evolution of the woman's role in history has contributed to shaping the modern view of her, reflecting diverse attitudes towards her status and role in society. However, in Islam, the status of women was elevated in a general sense, and the Islamic view of women was humane. The rights and equality that Muslim women enjoyed were unprecedented. In Islamic thought, women are considered the sisters of men, equal to them in terms of creation, as the Qur'an affirms that women were created from the same soul as men.

Keywords: Women, Holy Quran, Civilization.

المقدمة:ـ

إذا دققنا في مكانة المرأة في مختلف العصور ابتداء من عصر ما قبل الإسلام، وحتى نهاية العصور الزاهرة الحضارة الإسلامية، وقارنا مع وضع المرأة ومكانتها عند الأمم الأخرى تشهد اختلافا كبيرا وشاسعا بين المكانة السامية والمنزلة الرفيعة التي تمتعت بها المرأة في حين لم تتمتع بها المرأة عند الأمم الأخرى كالاغريق والرومان فقد كانت محل فخر واعتزاز في الحضارة الإسلامية وتبوأت مكانة مرموقة بين قومها والشواهد التاريخية تعكس صورة المرأة القوية الشخصية والمقدرة وكذلك تزخر كتب الأدب بالعديد من الأمثلة على ما تمتعت به المرأة من ذكاء والقاء و فكر وخلق فكانت ذات استقلال في شخصيتها و احترام الكل لها قبل الإسلام وعزز الإسلام مكانة المرأة وحظيت باعتبار كبير فارتقي بانسانيتها وكرامتها وملا نفسها الزانا وقلبها إيمانا وبلغ بها مراتب الكمال، فاصبحت منبتآ طيبا لأمة عظيمة هي أمة لحضارة الإسلام والمسلمين وواصل المسلمون الاعتزاز بها على سمو وعلو مكانة المرأة بعد الإسلام من اشتراكها ومساهمتها الواسعة في الحياة العامة العلمية والعملية إلى جانب مشاركتها في بعض الأمور السياسية والاقتصادية وقد سجل التاريخ بالتقدير والعديد القرآن الكريم اكد المواقف البارزة والعظيمة المرأة في ميدان الجياد والعلم وشتى صنوف النشطة الحياة المختلفة في دولة الحضارة الإسلامية مشرقها ومغربها. ولأهمية هذا الدور الرائع للمرأة ومكانتها السامية وضع اختياري لدراسة وبحث موضوع مكانة المرأة في الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، لابراز هذا الدور من خلال الكشف عن الكثير من الأدوار والمواقف التي لم تحظى باهتمام وتركيز الباحثين في عصر وصل العلم والحضارة في اعلى مراحل الازدهار والتقدم، وأن هذا الازدهار ليس فقط على الرجال، وانما شاركت المرأة في مجال السياسة والجهاد والثقافة والعلم وكانت الحاكمة والعالمة والقلبية والأدبية والشاعرة والمحدثة وراوية للأخبار والمعلمة والطبية والزاهدة والمتصوفة.

١. المفاهيم

١-١. تعريف المرأة لغة

والمرأة: تأنيث المرء، ويقال: مرة، بلا ألف (الصُحاري، ١٤٣٣هـ: ص٣١٢)وقال ابن عرفة: يقال: تبرجت المرأة: إذا ظهرت، وقال غيره: هن اللواتي يظهرن زينتهن ومحاسنهن

(الهروي، ١٤٢١هـ: ص١٦١) المرأة: أنثي المرء، وجمعها علي غير لفظها نساء. وقد يترك الهمز فيقال: مرة ومراة وهذا قليل. وتصغيرها مريئة ومرية. امرو وامرؤ: المرء "مع همزة الوصل بالفتح والضم في الراء لغتان" والأكثر إتباع حركة الراء حركة الإعراب فقالوا: امرؤ وامرأ وامريء "وهذا قليل". وتصغيرها مريء. ومؤنثه امرأة ولم يقولوا: الامرأة وحكاها أبو علي وأنكرها شراح الفصيح. ويقال للمرأة: إنها لا مرؤ صدق كالرجل "نادر". وربما أطلقوا علي الذئب امرأ "علي التجوز (، رضا، ١٤٠٩هـ: ص٢٦٩)المرأة، بالهمز: أنثى المرء. ويقال: مَرَة، بالتخفيف (الحميرى، ٢٠٠١م: ص٦٢٦٢) ويقال: "مرة" بدون ألف لتأنيث "المرء" (وهو الرجل)، حيث أن العرب قد أنثوا الكلمة فقالوا "مرَأة"، كما خففوا التخفيف القياسي فقالوا "مَرّة" بترك الهمزة وفتح الراء، وهذا الاستخدام مستمر. وقد ذكر سيبويه أنه قيل أيضاً "مَراه" ولكن ذلك نادر. وللعرب ثلاث لغات في لفظ "المرأة": فيقال: "هي امرأته"، "هي مرأته"، و"هي مرته".

١-٢. تعريف المرأة اصطلاحا

المرأة هي الاسم الذي يطلق على الأنثى البالغة من بني آدم، إذ لا يُستخدم هذا اللفظ للصغيرة وفقًا لعرف أهل اللغة. وقد قيل إن سبب تسميتها "امرأة" يعود إلى كونها مأخوذة من "المرء". تظل المرأة على الدوام مصدر الإلهام الأسمى، والمنبع الذي ينهل منه الأدب والفنون ويتغذى منه الفكر.

لا حاجة لتأكيد تأثير المرأة في حياة العظماء، فكل رجل ناجح تحيط به امرأة، سواء كانت أمّه، زوجته، أخته، ابنته، أو حتى امرأة غريبة. لذا، لو توفرت مدرسة واحدة فقط، لكان من الأجدر أن تُخصص للفتيات، لأن المرأة هي التي تغرس القيم والمعرفة في الطفل منذ صغره، وهي التي تؤثر في تكوينه العقلي والنفسي.

توسيع آفاق المرأة وتنمية فكرها مسؤولية الرجل، فهي التي تربي الأجيال وتصقل شخصياتهم ليصبحوا رجالًا ناضجين، قادرين على بناء الحضارة واستدامتها. ومع ذلك، فإن الرجل هو من يُسهم في تشكيل المرأة وتهيئتها لدورها في المجتمع، لذا ينبغي أن تتمتع بحقوق مساوية للرجل بما يتوافق مع طبيعة الأشياء، وأن تُتاح لها الفرصة للقيام بالواجبات المطلوبة منها.

غير أن تحقيق ذلك يتطلب أولاً تحرر الرجال أنفسهم من الجمود الفكري الذي جعلهم يقدّمون التقاليد على تعاليم الدين، وينظرون إلى المرأة باعتبارها مجرد أداة للمتعة. ومن حق المرأة أن تحصل على مساواة حقيقية لا تتعارض مع طبيعتها، وأن تسهم في خدمة المجتمع بفكرها وإرشادها، وأن تتولى أدوارًا اجتماعية، اقتصادية، وسياسية. أما ما يُقال عن قصور المرأة عن مستوى الرجل، فهو في الواقع نتيجة قرون من التهميش والاضطهاد. وإذا أُتيحت لها الفرصة، فهي قادرة على تحقيق إنجازات عظيمة والمشاركة بفاعلية في أهم القضايا والمجالات. (جهامي، ٢٠٠٦م: ج٢، ص٢٥٨٨).

١-٤. الحضارة لغةً واصطلاحا

- **الحضارة في اللغة:** مشتقة من الفعل "حضر"، وهي تعني عكس البداوة، حيث يعيش الناس في حياة قبليّة تعتمد على التنقل من مكان إلى آخر. هذا يتناقض مع الحياة المدنية أو الحضرية التي يتسم فيها الناس بالاستقرار، حيث يمارسون الزراعة وغيرها من الأنشطة الحضرية ويعيشون في المدن. وبالتالي، فإن الحضارة تعني في هذا السياق الاستقرار وتطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية. (ابن منظور، ١٤١٤هـ: ج٢ ص١٧٨)

- **الحضارة اصطلاحاً:** الحضارة اصطلاحاً تُعَرف بأنها مجموعة من المظاهر العلمية، الأدبية، الفنية، والاجتماعية التي توجد في المجتمع. وتعتمد الحضارات الإنسانية على بعضها البعض، حيث تأتي كل حضارة لتكمل وتُثري الحضارة التي سبقتها. تساهم هذه الحضارات في بناء الحضارة الإنسانية بشكل عام، فالحضارة الإغريقية، على سبيل المثال، وضعت الأسس الأولية للبناء الحضاري، ثم جاء العصر الإسلامي ليزدهر هذا البناء ويطوره، وبعد ذلك جاء الأوروبيون ليكملوا ويطوروا هذا البناء الحضاري إلى ما هو عليه الآن. (الميداني، ١٤١٨هـ: ص٤٣٢)

٣. مكانة المرأة في الحضارات القديمة

في الحضارات القديمة، لم يكن للمرأة قيمة تُذكر، حيث كانت تُعتبر مجرد أداة للتسلية ووسيلة لإشباع الرغبات والشهوات. كان يُفرض عليها الصمت وعدم التعبير عن رأيها، وكانت مسؤوليتها الوحيدة هي طاعة أوامر الرجل. في حال خروجها عن هذا الدور، كانت تتعرض لأشد العقوبات.

٣-١. الهند

في شريعة مانو في الهند، على سبيل المثال، لم يكن للمرأة حق مستقل عن حقوق والدها أو زوجها أو ابنها في حالة وفاة الأب أو الزوج. وإذا فقدت هؤلاء جميعًا، كان يُفرض عليها أن تنتمي إلى رجل من أقارب زوجها في النسب، ولم تكن تمتلك أي استقلالية في اتخاذ قرارات حياتها في أي حال من الأحوال. (زكريا، ٢٠٠٩: ص٣٦)

٣-٢. اليونان

في حضارة اليونان القديمة، كانت المرأة محرومة من الحرية والمكانة في ما يتعلق بالحقوق القانونية. كانت تتواجد في المنازل الكبيرة في مكان معزول عن الطريق، حيث تكون النوافذ قليلة والأبواب محروسة، كما كانت مجالس الفلسفة خالية من النساء، مما يعكس التهميش الكبير لدور المرأة في تلك المجتمعات. (تاتي، ١٤٣٩هـ: ص١٨٩)

٣-٣. الرومان

في حضارة الرومان القديمة، كان وضع المرأة مشابهًا لموقفها في الهند، حيث كانت تُعتبر ناقصة الأهلية وتعتمد في حياتها على الآباء أو الأزواج أو الأبناء. وقد كان الشعار السائد في تلك الفترة يقول إن قيد المرأة لا يُنزع. ولم تتحرر المرأة الرومانية من هذه القيود إلا بعد أن تحرر الأرقاء أنفسهم، نتيجة لتمردات وثورات وعصيانات متعددة. ومع مرور الوقت، أصبح من غير الممكن استرقاق المرأة بنفس الطريقة التي كانت تُسترق بها الجواري والعبيد. (العقاد، ١٤٢٥هـ: ص٣٤٢) وفي الصين، كان الوضع مشابهًا حيث لخص الفيلسوف كونفوشيوس وضع المرأة في مقولته الشهيرة: "إن الرجل رئيس فعليه أن يأمر، والمرأة تابعة فعليها أن تطيع." هذه المقولة تعكس النظرة التقليدية التي كانت تضع المرأة في موقع التبعية للرجل، وتحدد دورها في المجتمع كداعم للرجال في القيام بمهامهم. (الحجوي الثعالبي، ١٩٦٧م: ص٢١٣)

٣-٤. العرب في الجاهلية

كانت بعض القبائل العربية في الجاهلية تقدم على وأد البنات خشية العار، ولكن مع ظهور الإسلام ونزول الوحي على النبي الكريم ﷺ، تغيّر هذا الواقع تمامًا. فقد كرّم

الإسلام المرأة، ومنحها مكانة رفيعة في المجتمع، وأقرّ لها حقوقًا جعلتها تقف على قدم المساواة مع الرجل في العديد من الجوانب، مما رسّخ قيم العدل والكرامة الإنسانية.

٥. المرأة قبل الإسلام

في العصر الجاهلي، حُرمت المرأة من حق الميراث، إذ كان الميراث مقتصراً على من يحمل السلاح ويدافع عن القبيلة، وفق ما كانوا يقولون: "لا يَرِثُنا إلا من يحمل السيفَ ويَحْمي البيضة". فإذا توفي الرجل، انتقل إرثه إلى ابنه، وإن لم يكن له ولد، ورثه أقرب أقاربه من الرجال، سواء كان أبًا أو أخًا أو عمًّا. أما النساء، فكنّ يُضممن إلى نساء الوارث، ليصبحن جزءًا من ممتلكاته، دون أي اعتبار لحقوقهن. بل إن الظلم امتد ليشمل زواج المرأة، حيث كان الابن الأكبر يملك الحق في الزواج من زوجة أبيه بعد وفاته، باعتبارها جزءًا من الميراث. فإن رغب في الزواج منها، ألقى عليها ثوبًا إعلانًا لرغبته، وإلا كان لها حرية الزواج بغيره. (المقدم، ٢٠٠٥م: ج٢، ص٥٧)

ولم يقتصر الأمر على حرمان المرأة من حقوقها المالية والاجتماعية، بل تعدّاه إلى إنكار حقها في الحياة نفسها، إذ كانت بعض القبائل تمارس وأد البنات، وهي عادة وحشية تتمثل في دفن الفتاة حيّة حتى الموت، تعبيراً عن ازدراء الأنثى وخشية العار. وقد وصف الزمخشري هذه الممارسة البشعة، التي تجسد أقسى صور القسوة واللاإنسانية، حيث كانت تتم بطرق مروعة تعكس مدى تغلغل الجهل والظلم في ذلك العصر. فيقول: "كان الرجل إذا ولدتْ له بنت، فأراد أن يستحييها ألبسَها جبَّة من صوف، أو شَعر، ترعى له الإبل والغَنم في البادية، وإنْ أراد قتْلَها تركها، حتى إذا كانتْ سداسية، قال لأمِّها: طيِّبيها وزيِّنيها، حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفَر لها بئراً في الصحراء، فيبلغ بها البئر فيقول لها: انظري فيها، ثم يدفعها من خلْفها، ويهيل عليها التراب حتى تستويَ البِئر بالأرْض، وقيل: كانت الحاملُ إذا أقربت، حفرتْ حفرة فتمخَّضت على رأس الحُفْرة، فإذا ولدتْ بنتًا رمتْ بها في الحفرة، وإنْ ولدت ابنًا حبستْه (الزمخشري، ١٩٨٧م: ج٤، ص٧٠٨).

٦. المرأة في عصر الإسلام

رفع الإسلام من مكانة المرأة بصورة عامة وكانت نظرته إليها إنسانية فقد ساوى بينها وبين الرجل، بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (النساء: ١)

ودفع الإسلام عن المرأة التي ظلمتها المعتقدات السابقة، في أنها أغوت آدم فأخرج من الجنة، وجعلهما مشتركين في الغواية والذنب، بقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (البقرة: ٣٦) وعمل الإسلام على النهي عن التشاؤم والحزن لولادتها وحرم وأدها، بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (التكوير: ٨-٩) وكرم الإسلام مقامها زوجة بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١) وقد حث الدين الإسلامي على تعليمها وأعطاها حق الإرث أما وزوجة وبنتا، ونظم قضية الطلاق بما يمنع من تعسف الرجل فيه واستبداده في أمرها، فجعل له حداً لا يتجاوزه، وجعل له عدة تتيح للزوجين العودة إلى الصفاء والوئام وأسبغ الإسلام على المرأة مكاناً اجتماعياً كريماً في مختلف مراحل حياتها وكافة علاقاتها الاجتماعية .وبرز العديد من النساء في المجتمع الإسلامي الجديد وفي طليعتهن، السيدة خديجة الكبرى، زوجة النبي محمد ﷺ (عمر، ٢٠١١م: ج ١، ص٣٢٦) التي كانت أول من آمن بالله ورسوله وساندت الرسول بنفسها وبمالها، والسيدة فاطمة عليها السلام (عمر، ٢٠١١م: ج ٤، ص ١٠٨) بنت النبي محمد ﷺ، وقد اشتركت مع أبيها في فتح مكة وحجة الوداع وروت بعض الحديث عنه، وكذلك السيدة سكينة بنت الحسين رضي الله عنها.

٧. المرأة في القرآن الكريم والسنة النبوية

إن حقوق المرأة و المساواة التي تمتعت بها المرأة المسلمة لم تتمتع بها امرأة قط، فالمرأة في التصور الإسلامي شقيقة الرجل ومساوية له من حيث ابتداء الخلق، حيث يقر القرآن الكريم أن المرأة خلقت من نفس الرجل كما قال الله تعالى في مفتتح سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء: ١) ومعنى هذا أن المرأة لم تخلق من شيء مغاير لما خلق منه الرجل، بل من جنسه روحه (النحاس، ١٩٨٨م: ج٢، ص٢٥٢) لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ فيه نداء باعتبار خصوصية الإنسانية، وكلمة الناس تشمل هنا الذكر والأنثى، وبما أن المرأة داخلة مع الرجل في مفهوم كلمة الناس (الإنسانية) بناء على ما سبق فهي مخاطبة معه، وهذا فيه تساوي في

الإنسانية، فهي إنسان كما هو إنسان ((السمرقندي: ١٩٩٣م: ج١، ص٣٠٣) (فهنا لم يجعل الله تفاضل الجنس على آخر باعتبار الذكر والأنثى فهما سواء، ولكن جعل الله أساساً آخر للتفاضل بين كلا الجنسين ألا وهو التقوى، كما في قوله تعالى: ﴿يا أيُّها النَّاسُ إنا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنثى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣) فالمرأة في جوهرها الإنسانية تتساوى مع الرجل تمامًا، فلا فرق بينهما من حيث القدرة على فعل الخير، ولا يُفضل أحدهما على الآخر إلا بقدر تقواه وعطاءه وصلاحه. وتؤكد الآية الكريمة ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ على المساواة في أصل الخلقة والمادة، وتسلط الضوء على وحدة المعنى الإنساني، حيث تعود البشرية كلها إلى نفس واحدة هي نفس آدم عليه السلام. كما تربط الزوجة حواء بهذه النفس المصدرية، مما يوضح أن الجميع منشأهم واحد، وهذا يمثل قمة المساواة بين الرجل والمرأة. على النقيض، نجد المفكر الألماني نيتشه الذي ينفي هذه الفكرة تمامًا، ويؤكد على اختلاف مادة الخلق بين الرجل والمرأة، محاولًا تبرير الأيديولوجية العنصرية وإثبات دونية المرأة وفقًا لمعتقداته الخاصة. (الغنوشي، ١٤١٨هـ: ص ٢٣).

تعتبر هذه المسألة من القضايا الإنسانية الكبرى التي شغلت وتستمر في شغل الفكر البشري، حيث تداخلت فيها الحقيقة بالخيال. فقد وردت تفاصيل هذه المسألة في العهد القديم، حيث شهدت هذه الفترة العديد من المفاهيم والاعتقادات التي تأثرت بها الأفكار حول دور الإنسان وطبيعته. (الكيالي، ١٩٩٤م: ج١٦، صص ٧٠٩-٧١٠)" ورد في بعض التفاسير أن الله خلق آدم، ومن ثم خلق حواء من ضلعه الأيسر وهو نائم. ورغم أنه لا يوجد نص صريح في القرآن الكريم أو السنة النبوية يدعم هذه الفكرة بشكل مباشر، إلا أن جمهور المفسرين ذهبوا إلى تفسير الآية التي تقول ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (النساء: ١) على أنها تشير إلى آدم، واعتبروا أن حواء قد خُلقت من ضلعه، بناءً على بعض الأحاديث والروايات التي تناولت هذا الموضوع. (الطبري: ١٩٦٧م: ج ٤، ص ٢٢٤؛ الرازي، ١٤٢٥هـ: ج ٣، ص٨٥٢) على الرغم من أن بعض الروايات والتفاسير تناولت فكرة خلق حواء من ضلعه، إلا أن ما يمكن الجزم به هو أن الله خلق آدم وزوجته من جنسه ليكونا زوجين اثنين، وتعد السنة التي تعلمها البشر عن خلق الله هي سنة الزوجية. كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ

كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات: ٤٩)، وهي سنة جارية وقاعدة أصيلة في خلق الله جميعًا.

القرآن الكريم والسنة النبوية مليئان بالآيات والأدلة التي تؤكد المساواة بين الرجل والمرأة. فمن الآيات التي تدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١)، حيث تتضح المساواة في الخلق من نفس واحدة، مع التأكيد على السكن والمودة والرحمة بين الزوجين. وهذه الآية تُظهر تكريم الإسلام للمرأة ودورها الهام في الحياة الزوجية، وهو أمر يغفله الكثيرون. وقد بين النبي ﷺ في حديثه الشريف "إنما النساء شقائق الرجال" أن الرجل والمرأة متساويان، كأنهما جزءان من نفس واحدة، وهو ما يعكس مدى التلاحم والمساواة بينهما. (ابن قيم جوزيه، إعلام الموقعين: ج ١، ص ٢٠١) فعلى هذا النحو تقتضي المساواة، إذ لا يكون أحد الشقين أوفر حظاً من الآخر، فالمرأة بهذا مساوية للرجل.

٨. مكانة المرأة في الحضارة الإسلامية

لقد كرّم الإسلام المرأة ومنحها مكانة رفيعة من الكرامة الإنسانية، حيث ساوى بينها وبين الرجل في التكاليف الدينية والأحكام الشرعية، وفي الجزاء والثواب. وعلى الرغم من أن هناك بعض الخصوصيات التي تميزها عن الرجل، فإن هذا الاختلاف كان هدفه تسهيل حياة البشر وتنظيمها. يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٧١). هذه الآية تشير إلى تكليف المرأة والمسؤوليات التي تعود عليها كما الرجل.

الإسلام ساوى بين الرجل والمرأة في الأحكام الشرعية التي تنظم حياتهما، سوى بعض الأمور التي خصّت المرأة بها، وهذه الحالات قليلة، لأن الأساس في التكليف هو العقل والبلوغ، وليس الذكورة أو الأنوثة. الشريعة جاءت لتخاطب الجميع، ذكوراً وإناثًا، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ

وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٣٥).

الإسلام فتح أمام المرأة مجالات واسعة للمساهمة في بناء المجتمع، سواء على الصعيد العلمي أو الاجتماعي أو السياسي، وقد برزت النساء في مختلف المجالات مثل القضاء والحسبة، وكنّ فقيهات ومحدثات ومفتيات، إلى جانب شاعرات وأديبات مرموقات. كما لم تقتصر مشاركتهن على العلم فقط، بل شملت مجالات الطب والعمل الخيري والتعليم، وحتى في الحروب. هذه المشاركة الواسعة تؤكد قدرة المرأة وكفاءتها في المجالات كافة، حيث كانت لها بصمة بارزة في بناء الحضارة الإسلامية وتطوير المجتمع.

فكما أنجبت الأمة رجالًا عظماء تركوا بصماتهم في التاريخ، فقد قدّمت أيضاً نساء فضليات يُحتذى بهن. ولقد أكد النبي ﷺ هذه الحقيقة بقوله: "إنما النساء شقائق الرجال"، أي أنهن نظائرهم وأمثالهم في الخلق والطباع، مما يبرز مكانتهن ودورهن المتكامل في بناء المجتمع. (أركون، ١٤٣٩هـ: ص٩٠)

الخاتمة:ـ

مكانة المرأة في القرآن الكريم والحضارة الإسلامية رفيعة ومحترمة للغاية. إليك بعض النقاط التي توضح ذلك:

في القرآن الكريم:

المساواة الإنسانية: يؤكد القرآن الكريم بشكل قاطع أن المرأة والرجل خُلقا من نفس واحدة، وأنهما متساويان في الإنسانية. هذه المساواة تنعكس في الحقوق والمسؤوليات الدينية والأخلاقية.

دور الأمومة: يمنح القرآن الكريم مكانة خاصة للأم، ويشدد على أهمية احترام الوالدين والإحسان إليهما، خاصة الأم.

الحقوق الاقتصادية: تتمتع المرأة في القرآن بحق الملكية والتصرف في ممتلكاتها الخاصة، ويمكنها ممارسة الأنشطة الاقتصادية بشكل مستقل.

الحقوق الاجتماعية: يمنح القرآن المرأة الحق في المشاركة في الشؤون الاجتماعية والسياسية، وإن كانت هذه المشاركة محددة بإطار القيم الإسلامية.

القيم الأخلاقية: يؤكد القرآن على قيم أخلاقية متساوية لكل من الرجال والنساء، ويدعو كليهما إلى التقوى والعفة والالتزام بالمبادئ الأخلاقية.

في الحضارة الإسلامية: الحضور في مختلف المجالات: على مر التاريخ الإسلامي، كان للمرأة حضور فعال في مختلف المجالات العلمية والأدبية والثقافية وحتى السياسية. ظهرت نساء عالمات وشاعرات ومحدثات وطبيبات في الحضارة الإسلامية، مما يدل على مكانتهن الرفيعة في هذه الحضارة.

الدور في الأسرة: تلعب المرأة دوراً محورياً وأساسياً في الأسرة. تقع على عاتقها مسؤولية تربية الأبناء والحفاظ على كيان الأسرة، وقد لعبت دوراً هاماً في تشكيل المجتمع الإسلامي.

العدالة بين الجنسين: على الرغم من وجود بعض المفاهيم الخاطئة عبر التاريخ. إلا أن المبادئ الإسلامية تؤكد على المساواة والعدالة بين الجنسين. وقد سعى الفقهاء والمفكرون المسلمون دائماً إلى توضيح حقوق المرأة في إطار الشريعة الإسلامية.

ملاحظة: من المهم أن ندرك وجود فرق بين التعاليم الإسلامية الأصلية وبعض التقاليد والمفاهيم الخاطئة التي شاعت في المجتمعات الإسلامية. التعاليم الإسلامية، بشكل عام، تمنح المرأة مكانة ومنزلة عالية وتؤكد على المساواة والعدالة بين الجنسين.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٤١٤هـ). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

٢. ابن‌قيم جوزيه، محمد بن ابي‌بكر. (١٤٠٧هـ). إعلام الموقعين عن رب العالمين. محقق: عبدالحميد، محمد محيي‌الدين. بيروت - لبنان: المكتبة العصرية.

٣. أبو جعفر، النحاس. (١٩٨٨م). معاني القرآن. مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

٤. أركون، محمد. (١٤٣٩هـ). المرأة في الإسلام. بيروت - لبنان: دار القلم.

٥. الأصفهانى، الراغب. ١٤١٢. المفردات في غريب القرآن. دمشق: دار القلم.

٦. تاتي، محمدسلام. (١٤٣٩هـ). المرأة عند قدما يونان. بيروت ـ لبنان: دار الكتب.

٧. جهامي، جيرار. (٢٠٠٦). الموسوعة الجامعة لمصطلحات الفكر العربي و الإسلامي. بيروت - لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.

٨. الحجوي الثعالبي، محمد المهدي. (١٩٦٧م). المرأة بين الشرع والقانون. القاهرة: مطابع دار الكتاب.

٩. الحميرى، نشوان بن سعيد. (٢٠٠١م). شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. بيروت: دار صادر.

١٠. الديلمي، اكرم عبد الخليفه. (١٩٧١م). جمع القرآن دراسه تحليليه لمروياته. بيروت: دار النور.

١١. الرازي، الإمام فخر الدين. (١٤٢٥هـ). التفسير الكبير. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٢. رضا. أحمد. (١٤٠٩هـ). معجم متن اللغة. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٣. الرومي، فهد بن عبد تارحمن بن سليمان. (١٩٨٩م). دراسات في علوم القرآن. الرياض: جامعه الملك السعود.

١٤. زكريا، خضر. (٢٠٠٩م). عن الوضع الاجتماعي للمرأة العربية. بيروت: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع.

١٥. الزمخشري، محمود. (١٩٨٧م). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. القاهرة: دار الريان للتراث.

١٦. السمرقندي، نصر. (١٩٩٣م). بحر العلوم تفسير السمرقندي. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٧. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٩٩٥م). الاتقان في علوم قرآن. بيروت: دار الكتب العلمية

١٨. الصُحاري، سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي. (١٤٣٣هـ). الإبانة في اللغة العربية. بيروت لبنان: دار الكتب.

١٩. الطبري، محمد بن جرير. (١٩٦٧م). تاريخ الرسل والملوك. القاهرة: دار المعارف.

٢٠. العقاد، عباس محمود. (١٤٢٥هـ). المرأة في القرآن. بيروت لبنان: دار القلم.

٢١. الغنوشي، راشد. (١٤١٨هـ). المرأة بين القرآن وواقع المسلمين. بيروت – لبنان: دار الصادر

٢٢. كحالة، عمر رضا. (٢٠١١م). إعلام النساء في عالمي العرب والإسلام. دمشق ـ سورية: دار السلام.

٢٣. الكيالي، عبدالوهاب. (١٩٩٤م). الموسوعة السياسية. القاهرة: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٢٤. المقدم، محمد. (٢٠٠٥م). عودة الحجاب. مصر: دار ابن الجوزي.

٢٥. الميداني، عبدالرحمن حسن جنكة. (١٤١٨هـ). الحضارة وأسسها في الإسلام. جدّة: دار البشير.

٢٦. الهروي، أبو عبيد أحمد بن محمد. (١٤٢١هـ) الغريبين في القرآن والحديث. بيروت ـ لبنان: دار القلم.